مجلـــة العلـــوم التربـــوية والدراســـات الإنســـانيـــة
ISSN: 2709-0302 (online)

Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)

الاستلزام الحواري في فن التوقيعات(*)

د/ خـولـة عبـدالرحمـن حمـد المـوسى
أستاذ اللغويات المساعد بقسم اللغة العربيـة
بكليـة الآداب جامعـة الأمـيرة نـورة بنت عبدالرحمن السعودية
kaalmoosa@pnu.edu.sa

*) تاريخ تسليم البحث 2/8/2022 تاريخ قبوله للنشر 6/9/2022
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

الاستلزام الحواري في فن التوقيعات

د/ خـولـة عبـدالرحمـن حمـد المـوسى
أستاذ اللغويات المساعد بقسم اللغة العربيـة
كليـة الآداب جامعـة الأمـيرة نـورة بنت عبدالرحمن السعودية

مستخلص البحث

تتعدد المنطلقات في الدرس التداولي لفهم المعنى المقصود من النص كما أراده المتكلم. وهذا البحث يركز على أحد هذه المنطلقات وهو الاستلزام الحواري؛ الذي تبرز فيه قدرة المتكلم على إيصال معانيه المقصودة بطريقة غير مباشرة، عن طريق تحميل القول معان يستلزمها الموقف والسياق، وكل ما هو مشترك بين المتكلم والمخاطب لإتمام عملية التخاطب والفهم على أحسن وجه.

وقد اختار هذا البحث فن (التوقيعات) مدونة للتطبيق، معتمدا في التحليل على المبادئ التي أقرها غرايس، مع التركيز قواعد (مبدأ التعاون الحواري) الأربعة.

الكلمات المفتاحية: التداولية – الاستلزام الحواري – مبدأ التعاون – المعنى الصريح – المعنى الضمني.

Conversational Implicature in the Art of Replying to Correspondences by Caliphs

Dr. Khawlah Abdulrahman Hamad Al Moosa
Assistant Professor of Linguistics,
Department of Arabic Language, College of Arts
Princess Nourah Bint Abdulrahman University, Kingdom of Saudi Arabia

Abstract

Several perspectives are considered in pragmatics to understand the intended meaning from the text as delivered by the speaker. This study focuses on one of these perspectives which is conversational analysis, which shows the speaker's ability to communicate his intended meanings indirectly, by implying a meaning beyond what is explicitly stated and such meaning is entailed by the situation, context and everything that is common between the speaker and the addressee to perform the process of communication and understanding in the best way. This research chooses the art of replying to correspondences by caliphs as a blog for application, and adopted the pragmatic theory represented in the principles that Grice considered as a basis for analysis, with a focus on the Conversational Co-operative Principle.

Keywords: Pragmatics, Conversational implicature, Co-operative Principle, Explicit Meaning, Inexplicit meaning.

الاستلزام الحواري في فن التوقيعات

تطورت الدراسات التداولية مؤخرا وتسيَّدَت الدراسات اللغوية؛ إذ أصبحت أكثرها عدّا وأعمقها نتائجا. وتقوم التداولية على مخطط موريس Charles Morris الذي جعل فيه للسيميوطيقا ثلاثة أبعاد هي: **الدلالة** (تدرس علاقة العلامة بالمرجع الذي تحيل إليه)، **والتركيب** (يدرس علاقة العلامات فيما بينها في التراكيب النحوية)، **والتداولية** (التي تدرس علاقة العلامات بمؤوليها) (Morris, 1972, p59).

وعلى هذا الأساس فإن التداولية "هي دراسة اللغة التي تركز الانتباه على مستعملي اللغة وسياق استعمالها" (Oxford, 1995, p709)؛ إذ يمكن أن تعبر الجملة الواحدة عن معان مختلفة أو مقترحات مختلفة من سياق إلى آخر، وهذا ما ركز عليه فيرشوين Verschueren الذي يرى أنه مهما يقال عن وظيفة اللغة فلا شك في أنها هي في الأساس شيء ذو معنى، وأن اللغة هي الأداة الأساس في محاولات إيجاد معنى في عالم ليس له معنى في حد ذاته، فتوليد المعنى هو من أشكال الظهور اللغوي المعهود؛ إذ يوجد حيثما تُستعمل اللغة (Verschueren, 1999, p1).

ونتيجة للانفتاح العلمي والتلاقح الفكري بين الثقافات؛ وجدت الدراسات اللغوية العربية الحديثة في البحث التداولي مجالا خصبا للدراسة والتطبيق؛ إذ اتجهت تلك البحوث إلى التداولية بفروعها المختلفة؛ من حجاج وأفعال كلامية وإشاريات واستلزام حواري... وهو النهج الذي سنسير عليه في بحثنا هذا؛ إذ سنركز على جانب من جوانب الدراسات التداولية؛ وهو الاستلزام الحواري أو (الاستلزام التخاطبي)، أو (التلميح الحواري) كما يترجمه بعض اللغويين (الخليفة، ٢٠١٣م، ٢).

و**يهدف** هذا البحث إلى تطبيق إحدى الاتجاهات الحديثة في دراسة اللغة، وهو الاتجاه التداولي ممثلا في أحد أهم آلياته وهو (الاستلزام الحواري أو التخاطبي) على فن أدبي مهم وهو (فن التوقيعات)، وتقوم **مشكلة البحث** بتطبيق قواعد مبدأ التعاون كما جاء عند غرايس على توقيعات الخلفاء، وذلك بالوقوف على المعنى المستلزم فيها، والقاعدة الحوارية التي خُرقت والاستراتيجيات المتاحة لذلك، وذلك بالاعتماد على **المنهج** الوصفي الذي اتخذتُه منطلقا.

وتعد نظرية غرايس في الاستلزام الحواري إحدى أهم النظريات التداولية التي تناولها اللغويون بالدراسة والتطبيق على نصوص دينية وأدبية كثيرة، أما تطبيق الاستلزام الحواري على (فن التوقيعات) فقد وقفت على دراسة واحدة تطبق مبدأ الكم على نماذج من توقيعات القرن الرابع الهجري بعنوان (الاستلزام الحواري من خلال انتهاك مبدأ الكم في نماذج من توقيعات القرن الرابع الهجري مقاربة تداولية) للباحثة: سمية بنت صالح المحمود، وقد اعتمدت الباحثة على دراسة نماذج من القرن الرابع بينما يدرس بحثي توقيعات الخلفاء

فقط – دون الوزراء والولاة – من عهد الخلفاء الراشدين إلى عهد العباسيين، كما أنني لم أجد عينة مدروسة عند الباحثة تكررت في بحثي.

وقد اتخذ البحث كتاب (العقد الفريد) لابن عبد ربه مصدرا للوقوف على توقيعات الخلفاء لما يتمتع به الكتاب من مكانة مهمة في المكتبة العربية، كذلك اهتمام مؤلفه بتوثيق كم كبير من التوقيعات فيه تحت عنوان خاص لهذا الفن، وهو أمر لم اجده في مصدر غيره؛ وقد اخترنا منها ٤٠ عينة لخلفاء متعددين، وُضعت في جداول عند الدراسة حتى لا يطول البحث.

فن التوقيعات:

تعريفه

لغة: من (و ق ع)؛ جاء في العين: وقع الشيء وقوعا، أي: هويَ. والتوقيع: أثَر الرّحل على ظهر البعير، أما التوقيع في الكتاب، فهو: إلحاق شيء فيه (الخليل، ١/١٧٦-١٧٧).

أما اصطلاحا: فقد عرّفه (ابن خلدون) بقوله: "ومن خطط الكتابة التّوقيع وهو أن يجلس الكاتب بين يدي السّلطان في مجالس حكمه وفصله ويوقّع على القصص المرفوعة إليه أحكامها والفصل فيها متلقّاة من السّلطان بأوجز لفظ وأبلغه" (ابن خلدون، ١٩٨٨م،١/٣٠٦).

وجاء في المعجم الوسيط بأنّه: ما يعلقه الرئيس على كتاب أو طلب برأيه فيه (المعجم الوسيط، و ق ع)، وعُرِّف في معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب بأنه: رأي الحاكم يكتبه على ما يقدم إليه من شؤون الدولة (وهبه والمهندس، ١٩٨٤م، ١٢٦).

ويعد فن التوقيعات أحد فنون النثر التي ظهرت عند العرب في وقت مبكر في الحياة السياسية العربية، وإن لم يُعرف متى بالتحديد إلا أن هناك من يصف بعض كتابات النبي عليه الصلاة والسلام للملوك والولاة بالتوقيعات (معروف، ١٩٦٣م، ص٦)، أما نشاطه وبروزه فقد كان في العصر العباسي (معروف، ١٩٦٣م، ص٣٤).

كما أنّ هذا الفن ارتبط في بدايته بفنون (الرسائل، والكتابة)، إلا أنه تميز بعد ذلك بخصائص فنيّة، أبرزها: الإيجاز، والمحسنات البديعية، وأهمها: السجع والطباق، والتضاد (إسماعيل، ٢٠١٦، ص٣٩).

أنواعه

تُقسّم التوقيعات – بالنظر إلى نصّها – إلى أنواع، وهي كالآتي (عمر، ٢٠١٧، ص٥):

١- التوقيع بالآيات القرآنية الكريمة.

٢- التوقيع بالأحاديث النبوية الشريفة.

٣- التوقيع بالحكم أو الأمثال.

٤- التوقيع بالأبيات لا شعرية.

٥- التوقيع بالقول المرسل الذي يدونه الخليفة أو الوزير أو القائد.

وبما أنّ التوقيعات لا تخرج عن هذه الأنواع من النصوص المشهورة الموجزة، فهذا يجعلها تعتمد على التخزين النشط للأفكار والمعلومات التي يمتصها الخطاب الموجز (صويلح، ٢٠١٧، ص١٦٥).

الاستلزام الحواري ومبدأ التعاون

يُعدّ الاستلزام الحواري conversational implicature أحد الجوانب الأربعة التي يقوم عليها البحث التداولي مع (الإشاريات deixis، والافتراض المسبق presupposition، والأفعال الكلاميةspeech acts)، وهو ألصقها بطبيعة البحث فيه.

وترجع نشأة الاستلزام الحواري إلى المحاضرات التي دعا جريس H.P.Grice إلى إلقائها في جامعة هارفارد عام ١٩٦٧م، وقدم فيها تصوره لهذه النظرية والأسس التي يقوم عليها (بوقرة، ٢٠٠٩م، ص٨٤).

إن مقدمات الاستلزام جاءت بعد ظهور نظرية الأفعال الكلامية عند أوستين واهتمامه بالفعل المباشر؛ إذ تؤكد (نظرية أفعال الكلام) على أن العبارات اللغوية لا تنقل مضامين مجردة ونمطية؛ بل تختلف حسب عدة عوامل منها السياق. وهذه النظرية تحول الاهتمام فيها والتمظهر من الإحالة اللسانية والاهتمام بالجملة إلى إحالة المتكلم. كما ركزت النظرية على الملفوظات الإنجازية أولا، ثم توسعت لتشمل الملفوظات التقريرية، وقد انتهت نظرية أوستين إلى بناء نظرية تهتم بما يسمى (القوة الإنجازية) (أدراوي، ٢٠١١م، ص٧٩).

وقد انطلقت أعمال غرايس من تركيزه على الدلالة الطبيعية والدلالة غير الطبيعية للأفعال، ويفترض غرايس من خلال مفهوم الدلالة غير الطبيعية أن لا يُختزل تأويل قول ما في الدلالة اللغوية التواضعية للجملة، فهناك فرق بين (ما قيل) وهي الدلالة اللغوية التواضعية للجملة، وبين (ما تم تبليغه) وهي تأويل القول. ويوافق هذا التمييز مفهوم (الاستلزام الحواري)؛ فالدلالة (ما قيل)، والاستلزام الحواري (ما بُلِّغ) (موشلار وروبول، ٢٠٠٣م، ص٥٦). مثال:

(أ) تدل البثور المنتشرة على جلد زيد على أنه يعاني من جدري الماء.

(ب) إنّ غرفتك زريبة خنازير (بقصد أن الغرفة غير مرتبة).

فالمثال (أ) فيه دلالة الفعل طبيعية، أما المثال (ب) فالدلالة فيه غير طبيعية؛ فهي صلة قائمة بين محتويات يريد القائلون إبلاغها والجمل التي استعملوها لإبلاغها، وبذلك فإن غرايس من خلال أعماله يركز في التواصل اللغوي على نوايا القائل، وفهم المخاطَب لهذه النوايا (موشلار وروبول، ٢٠٠٣م، ص٥٣).

وقد أدخل غرايس مفهومين مهمين في منطق المحادثة؛ وهما: **الاستلزام الحواري، ومبدأ التعاون** (موشلار وروبول، ٢٠٠٣م، ص٥٤).

وفيما يلي تفصيل هذين المبدأين، كما لابد أن ننوه بأن المبدأ الأول وهو الاستلزام الحواري لا يتأتّى وجوده إلا من خلال خرق المبدأ الثاني وهو مبدأ التعاون.

أولا: الاستلزام الحواري conversational implicature

يُعَرف الاستلزام بأنه: ما يرمي إليه المتكلم بشكل غير مباشر، جاعلا مستمعه يتجاوز المعنى الحرفي لكلامه إلى معنى آخر (أدراوي، ٢٠١١م، ص١٨).

لقد كانت نقطة البحث عند غرايس هي أن الناس في تواصلهم (قد يقولون ما يقصدون)، وقد (يقصدون أكثر مما يقولون)، وقد (يقصدون عكس ما يقولون)؛ وكان همُّه من خلال هذه الدراسة هو إيضاح الاختلاف بين (ما يقال what is said)، و(ما يُقصدwhat is meant)؛ فما يُقال: هو ما تعنيه الكلمات والعبارات اللفظية، أما ما يُقصد: فهو ما يريد المتكلم أن يبلغه للسامع بطريقة غير مباشرة مفترضا على أن السامع قادر على أن يصل إلى المعنى المراد بناء على أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال.

بناء على ما سبق أراد غرايس أن يقيم معبرا بين ما يحمله القول من معنى صريح explicit meaning وما يحمله من معنى ضمني inexplicit meaning فكان ذلك مبعثا لفكرة الاستلزام implicature(نحلة، ٢٠١٤م، ص٣٣).

ويهدف غرايس من خلال مبدئه إلى تحقيق ما يلي (الرقبي، ٢٠١٨، ص٣٢):

١- إن الجمل الخبرية لا تخضع كلها لشروط الصدق.

٢- توضيح كيفية اشتغال آليات التأويل، التي تجعل المؤول ينتقل من الشكل اللغوي الحرفي إلى ما يتضمنه الملفوظ من معنى.

٣- فحص الإطار النفسي المنطقي الذي يقع فيه التبادل الكلامي.

وهذا يعني أن نظرية (الاستلزام الحواري) التي وضعها غرايس تأخذ بعين الاعتبار كل الأبعاد المؤسسة لعملية التخاطب، وهي:

١- معنى الجملة التي يتلفظ بها المتكلم في علاقته بمستمع.

٢- المقام الذي تنتج فيه الجملة.

٣- مبدأ التعاون.

وبذلك يكون هذا الفرع لصيقا بلسانيات الخطاب الذي أخذ معها البحث اللساني منحى متميزا؛ إذ انصب فيها الاهتمام على عملية الخطاب في حد ذاته (أدراوي، ٢٠١١م، ص١٧-١٨).

ويختلف المعنى المستلزم عن **المعنى الإيحائي**؛ فالمعنى الإيحائي: هو معنى يتفق عليه أفراد المجتمع الواحد؛ فالرمز اللغوي أو غير اللغوي يوحي بمعنى محدد في اللغة، أما المعنى المستلزم: فهو يرتبط بقدرة المتلقي على الوصول إلى المعنى المضمر الذي لم يصرح به المخاطب حرفيا؛ إذ تترك للمتلقي حرية التوسع في المعنى وفهم المقصود (حياة، ٢٠١٩م، ص٢٧٦).

أنواع الاستلزام

ميز غرايس الاستلزام عند حديثه عنه بأن جعله نوعين، هما (بوقرة، ٢٠٠٩م، ص٨٤):

١- استلزام عرفي Conventional implicature: يقوم على ما تعارف عليه أصحاب اللغة من استلزام بعض الألفاظ لدلالات بعينها مهما اختلفت السياقات وتغيرت التراكيب؛ من ذلك دلالة (لكن) التي تستلزم أن يكون ما بعدها مخالفا لما يتوقعه السامع، ومثال ذلك:

- زيد غني لكنه بخيل.

٢- استلزام حواري conversational implicature: يتغير دائما بتغير السياقات التي يرد فيها، وهذا النوع من الاستلزام هو ما سنركز عليه في البحث.

إن معنى العديد من الجمل في عملية التخاطب إذا روعي ارتباطها بمقامات إنجازها، لا ينحصر معناها فيما تدل عليه صيغها الصورية؛ فالتأويل الدلالي يصبح متعذرا إذا اقتصرنا على المعطيات الظاهرة فقط، مما يستوجب تأويلا آخر؛ إذ يستثمر كل ما هو لغوي وغير لغوي وما يتعلق بالمقام وأحوال المتكلمين، حتى يكون الانتقال من المعنى الصريح إلى المعنى غير المصرح به (المعنى المستلزم تخاطبيًا) يسيرًا، فمثلًا إذا قال شخص:

- الجو بارد.

فهذا لا يعني البتة أن منطوق الفعل الإخباري التقريري هو المقصود؛ فإذا أُسند إلى القرائن المتوفرة فقد يكون معناه ليس الإخبار بل الالتماس؛ أي التماس غلق النافذة أو فتح التدفئة (حياة، ٢٠١٩م، ص٢٨٥).

ويحتاج الوصول إلى المعنى المقصود أو المستلزم الكثير من العمليات الاستدلالية (المنطقية وغير المنطقية)؛ فلكي نربط مثلا، بين المثل العربي (كثير الرماد) وبين معنى (مضياف) فإننا نحتاج إلى سلسلة طويلة من العمليات العقلية؛ فكثرة الرماد تحت القدر دليل على كثرة الجمر، وكثرة الجمر دليل على كثرة احتراق الحطب تحت القدر، وكثرة احتراق الحطب تحت القدور دليل على كثرة الطبخ، وكثرة الطبخ دليل على كثرة عدد من يأكل، وكثرة الأَكَلة تدل على كثرة الضيوف (أزاييط، ٢٩١٢م، ج٢، ص٣٣٨).

كما يمكن أن تُخفق عملية التأويل هذه وتؤدي إلى نتائج خاطِئة أو ضعيفة تحول دون إدراك المعنى المضمر، وقد شبَّه البعض هذه العملية بلعبة الغُمَّيضة؛ إذ يمثل اختفاء المرء فيها متعة، ولكن قد تتحول إلى أمر غير محمود إذا ضاع ولم يُكتشف مكانه (براون، ١٩٩٧م، ص٢٩٧).

ومن الأسئلة المهمة التي تطرح في هذا الباب: أيُّ المعاني يسبق إلى ذهن المخاطب، هل المعنى الحرفي أم المعنى المستلزم؟ وهل المعنى المستلزم نعتبره معنى إضافيا إلى المعنى الحرفي، أم أنه معنى له وجوده الخاص يمكن أخذه وترك المعنى الحرفي؟ وكيف نتوصل إلى المعنى المستلزم، هل يكون ذلك انطلاقًا من المعنى الحرفي وحده، أم أننا نحتاج إلى مقومات أخرى؟ وكيف يكون الانتقال من المعنى الحرفي إلى المعنى المستلزم؟ (حياة، ٢٠١٩م، ص٢٨٦).

وللإجابة على بعض التساؤلات السابقة؛ نستطيع القول إن انطلاق تشكل المعنى المستلزم وتبلوره عند المتكلم يكون أولا، ثم ينعكس في ذهن المخاطب؛ وهو ما يسمى بـ(مسلك الاستلزام الانعكاسي) (أزابيط، ٢٠١٢م، ج٢، ص٣٢٩). كما أنّ فهم المعنى المستلزم يكون على مرحلتين؛ يحدد المخاطب في الأولى المعنى الأولي للجملة الملفوظة، وبعد ذلك يستدل في المرحلة الثانية على وجود بعض المعاني الإضافية، وهذا الإجراء المتكون من مرحلتين ربما لا ننتبه إليهما ولكن نستطيع في أغلب الأحيان الإشارة إليهما بوضوح (ريكاناتي، ٢٠١٧م، ص١٢٥).

وللاستلزام الحواري عند غرايس **خصائص** تميزه عن غيره من أنواع الاستلزام، نعرضها على النحو الآتي (نحلة، ٢٠١٤م، ص٣٨-٤٠):

١- يمكن إلغاء الاستلزام؛ ويكون ذلك عادة بإضافة قول يسد الطريق أمام الاستلزام أو يحول دونه؛ فإذا قال أحد القراء لكاتب ما:

- لم أقرأ كل كتبك (فهذا يستلزم أنه قرأ بعضها)، أما إذا أضاف عليها (الحق أني لم أقرأ أي كتاب منها)، فهذه الجملة ألغت الاستلزام.

٢- لا يقبل الاستلزام الانفصال عن المحتوى الدلالي؛ فهو متصل بالمعنى الدلالي لما يقال لا بالصيغة اللغوية التي قيل بها، فهو لا يزول مع تغير الصيغة التي قيل بها؛ مثال:

- لا أريدك أن تتسللي إلى غرفتي على هذا النحو.
- أنا لا أتسلل، ولكن أمشي على أطراف أصابعي خشية أن أحدث ضوضاء.

فرغم تغير صيغة الفعل (تتسللي) إلا أن ما يستلزمه القول من عدم الرضا لم يتغير.

٣- الاستلزام متغير؛ أي أن التعبير الواحد يمكن أن يؤدي إلى استلزامات مختلفة حسب السياق الذي يرد فيه، فالمعنى من وراء سؤال:

- كم عمرك؟

يختلف بحسب الشخص الذي وجه له هذا السؤال؛ فإذا وجه لطفل فهو طلب لمعرفة الحقيقة، أما إذا وجّه إلى مراهق فيستلزم عدم الرضا عن سلوك قام به مثلا.

٤- يمكن تقدير الاستلزام؛ أي أن السامع يقوم بخطوات محسوبة يتجه بها خطوة خطوة إلى أن يصل إلى ما يستلزمه الكلام؛ فجملة (الملكة فكتوريا صُنعت من حديد) لا يمكن قبول معناها اللفظي؛ لذلك

يلجأ السامع إلى البحث عن المعنى من وراء هذا الكلام وهو أن المتكلم يريد أن يخلع صفات الحديد كالصلابة والمتانة على الملكة لذلك لجأ إلى هذا التعبير الاستعاري.

ثانيا: مبدأ التعاون co-operative principle

قدّم غرايس المبدأ التداولي الأول للتحاور – وهو مبدأ التعاون – ومفاده أن الأطراف المشتركة في الحوار لا بد أن تتعاون فيما بينها للاهتداء إلى المعنى المراد؛ فالمتكلم والمخاطَب لابد أن يتعاونا لتحقيق الهدف من الحوار الذي دخلا فيه؛ وهذا الهدف إما أن يكون محددا قبل دخولهم في عملية الكلام، أو قد يحصل تحديد هذا الهدف أثناء عملية الكلام. وهذا المبدأ يتحقق به الحوار المثمر؛ فهو مبدأ حواري بين المتكلم والمستمع مفاده (**ينبغي أن تكون مساهمتك الحوارية بمقدار ما يُطلب منك**) (أدراوي، ٢٠١١، ص٩٧-٩٨).

ويرى بعض الباحثين أن النجاح الذي حققه تحليل غرايس يعود أساسا إلى (مبدأ التعاون)؛ إذ إنه قبل تحليل غرايس كان تأويل الملفوظ يقوم على مبدأين، هما: الأول: معنى الجملة المتلفظ بها، والثاني: السياق، وهما عاملان متغيران، أما العامل الثالث الذي أضافه غرايس وهو (مبدأ التعاون) فعامل ثابت. فالمبادلات التواصلية عند غرايس هي نتيجة مجهود تعاوني بين المتخاطبين (الرقبي، ٢٠١٨، ص٣٣)، لا بد أن تتوفر فيه ميزة (الإخلاص)؛ أي أن يكون المتكلم حريصا على إبلاغ المخاطب معنى بعينه وأن يبذل الجهد الواجب لإيصال هذا المعنى الذي يريده، وألا يريد أحدهما خداع الآخر، وعند انتهاك أي مبدأ من مبادئ الحوار الأربعة؛ فإن المخاطب اليقظ سيعلم الهدف من هذا الانتهاك وسيصل إلى هدف المتكلم (نحلة، ٢٠١٤م، ص٣٤-٣٥).

ويشتمل **مبدأ التعاون** على أربعة قواعد فرعية، ويشترط غرايس لاشتقاق الدلالة الكامنة من المحتوى الدلالي – وهو ما يسمى بالمعنى المستلزم – **خرق Violation** واحد أو أكثر من هذه القواعد الأربعة، وهي: قاعدة الكم، وقاعدة الكيف، وقاعدة العلاقة أو المناسبة، وقاعدة الطريقة.

وعندما تختل أي قاعدة من قواعد الحوار – السابقة والتي سيأتي تفصيلها لاحقا – فإن على المشارك الآخر في العملية الكلامية أن يصرف كلام محاورِه إلى معنى خفي يقتضيه المقام، وهذا المعنى الخفي يحصل بطريق الاستدلال من المعنى الظاهر ومن القرائن، وهو ما يسمى بالاستلزام الحواري (الرقبي ٢٠١٨، ص٣٥). وبناء على هذا الخرق يقوم المخاطب بفرضيات لتفسير هذا الانتهاك، إلا أنّه لابد من إدراك أنّ قواعد المحادثة تلك ليست معايير ينبغي اتباعها من المخاطبين، وإنما هي مبادئ تأويل أكثر من كونها قواعد معيارية (موشلار وروبول، ٢٠٠٣م، ص٥٧).

وكما سبق لكي يتم المعنى الاستلزامي للكلام لابد من خرق أحد المساهمين في الحوار قاعدة من قواعد مبدأ التعاون الأربعة على الأقل، بالإضافة إلى توافر شروط أخرى في العملية التخاطبية، وهي (جربوعة ٢٠١٦م، ص٧-٨):

١- افتراض أن الشخص المخاطب يدرك المعنى المستلزم.

٢- قدرة المخاطب على الاستنتاج والإدراك انطلاقا من الافتراض القائم على قاعدة المناسبة.

٣- احترام السياق اللغوي، والسياق غير اللغوي للخطاب.

٤- مراعاة الخلفية المعرفية بين المتخاطبين.

وقد صنف براون ولينفنسون عددا من **الاستراتيجيات** التي ينتج المرسل بها خطابه ليخرق بها قواعد مبدأ التعاون، أهمها: التهوين، والمبالغة، وتحصيل الحاصل، والتناقضات، والتهكم، والاستعارة، والأسئلة البلاغية، والتلميحات، وذكر المعلومات التمهيدية وإفادة الاقتضاء، والإلباس القصدي، والمشترك اللفظي (الشهري، ٢٠١٥م، ص٢١١).

نقد مبدأ التعاون

واجه مبدأ التعاون الذي اقترحه غرايس انتقادات عديدة، أهمها: أن أبحاث غرايس لم تأخذ بعين الاعتبار العديد من السلوكيات اليومية العادية التي تتوفر على دلالة أكبر مما شكل حقل اهتمامه. كما أن مبدأ التعاون اقتصر على الجانب التبليغي للغة ولم يأخذ بعين الاعتبار الجوانب الأخرى؛ مثل الجانب المادي والجانب التهذيبي والاجتماعي، وإن كان قد أشار إليها إلا أنه لم يقم لها وزنا كبيرا. لذلك حاول الدارسون بعده تطوير المبدأ الذي اقترحه والاستعاضة عنه بما يسمى بـ(مبدأ الملاءمة)، ثم (مبدأ التأدب الأقصى) وغيرها مما لم ينل حظا من الشهرة مثلما تأتّى لمبدأ غرايس (الرقبي، ٢٠١٨، ص٤٠-٤٣).

كما أنّ من الانتقادات التي وجّهت لنظرية غرايس، اتسام قواعد مبدأ التعاون بالضعف؛ لأنها لم تشرح طبيعة العلاقة بين المعنى والقوة، كما أنه لا يتسم بـ(الكليّة)؛ لأن هناك لغات لا ينطبق عليها (كادة، ص١٢٢).

وفيما يلي قواعد مبدأ التعاون الأربعة (نحلة، ٢٠١٤م، ٣٤-٣٧)، مع التمثيل على خرقها والتطبيق عليها من نماذج التوقيعات:

القاعدة الأولى: قاعدة الكم Quantity: وتضم قاعدتين فرعيتين، هما:

أ. اجعل إسهامك في الحوار بالقدر المطلوب دون أن تزيد.

ب. اجعل إسهامك في الحوار بالقدر المطلوب دون أن تنقص منه.

مثال: في حوار بين الأم وابنها:

الأم: هل اغتسلت ووضعت ثيابك في الغسالة؟

الابن: اغتسلت.

خُرِقت قاعدة الكم في المحاورة السابقة؛ لأن الأم سألت عن أمرين فجاء الجواب عن أحدهما، مما يستلزم أن تفهم الأم أن الابن لم يضع ثيابه في الغسالة.

والأمثلة التي تمثل خرق هذه القاعدة في نماذج التوقيعات كالتالي:

م	التوقيع (ابن عبدربه، ١٤٠٤هـ، ٤/ ٢٨٧-٢٩٩)	المعنى المستلزم	القاعدة التي خُرقت والاستراتيجية المستخدمة
		قاعدة الكم	
١	وقّع عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص: كن لرعيتك كما تحبّ أن يكون لك أميرك.	اعدِل.	قاعدة الكم، والقاعدة الفرعية التي خرقت هي (اجعل إسهامك بالقدر المطلوب دون أن تزيد)؛ فقد جاء بمعلومات تزيد على المعنى المطلوب، استخدم فيها استراتيجية معاملة النفس بالطريقة ذاتها، مما يستلزم العدل.
٢	وقّع عثمان بن عفان في قصة رجل شكا عِيلة: قد أمرنا لك بما يقيمك، وليس في مال الله فضل للمسرف.	ما طلبته مبالغ فيه.	قاعدة الكم، والقاعدة الفرعية التي خُرِقت هي (اجعل إسهامك بالقدر المطلوب دون أن تزيد)، وفيه التلويح والتعريض بطلب الشاكي المسرف. والجملة الأولى تؤدي الغرض وهو الرد، إلا أن الجملة الثانية (وليس في مال الله فضل للمسرف) توحي بأن الشاكي قد طلب الكثير؛ لذلك جاءت لتبرير مقدار العطاء والتلويح بأنك قد بالغت وأسرفت في الطلب.
٣	وقّع عبدالملك بن مروان في كتاب أتاه من الحجاج (يشكو إليه نفرا من بني هاشم ويغريه بهم): جنّبني دماء بني عبد المطلب، فليس فيها شفاء من الطلب.	لا تقتلهم.	قاعدة الكم، والقاعدة الفرعية التي خُرِقت هي (اجعل إسهامك في الحوار بالقدر المطلوب دون أن تزيد)؛ فالجملة الأولى كافية لفهم أمره بعدم قتلهم، ولكنه جاء بالجملة الثانية من باب التعليل وزيادة التأكيد على المعنى الأول. وهو من باب ما يُعرف بـ(حسن التصرف) (بن يامنة ٢٠١٩م، ص٢٣٧)
٤	ردّ عمر بن عبد العزيز على كتاب صاحب العراق يخبره عن سوء طاعة أهلها، فوقع له: ارض لهم ما ترضى لنفسك، وخذ بجرائمهم بعد ذلك.	الزم العدل.	قاعدة الكم، والقاعدة الفرعية التي خرقها (اجعل إسهامك في الحوار بالقدر المطلوب دون أن تزيد)؛ فالمعنى يستلزم العدل، ولكن الخليفة لم يصرح به وإنما طلب منه أن يطبق قاعدة المعاملة بالمثل؛ بأن يضع نفسه مكانهم، وهي تستلزم معنى العدل.
٥	وقّع عمر بن عبد العزيز في رقعة رجل تظلم من ابنه: إن لم أنصفك منه فأنا ظلمتك.	سأعاقب ابنك.	قاعدة الكم، والقاعدة الفرعية التي خرقها هي القاعدة (اجعل إسهامك في الحوار بالقدر المطلوب دون أن تزيد). فعمر لم يجب عن سؤال المتظلم بنعم سأعاقب ابنك، أو لا، ولكنه رد عليه بجملة يحمّل فيها نفسه هذا الظلم الذي سيقع على الأب إذا ترك الابن من دون عقاب، وهذا يستلزم أن الخليفة سيعاقب الابن لامحالة لما ما عُرف عن عمر بن عبدالعزيز من حزم في أمور العدل. واستخدم في رده استراتيجية (التهويل)؛ أي تهويل عدم إنصاف الأب مما يستلزم وجوب العقاب.

القاعدة الثانية: قاعدة الكيف Quality: وتضم قاعدتين فرعيتين، هما:

أ. لا تقل ما تعتقد أنه غير صحيح.

ب. لا تقل ما ليس عندك دليل عليه.

مثال: في حوار بين تلميذ وأستاذ وكلاهما إنجليزي:

التلميذ: طهران في تركيا، أليس كذلك يا أستاذ؟

الأستاذ: طبعا، ولندن في أمريكا.

خُرِقت قاعدة الكيف في هذه المحاورة؛ إذ تقتضي القاعدة أن لا تقول إلا ما تعتقد أنه صحيح؛ وقد انتهكه الأستاذ عمدا، هذا الخرق يستلزم أن الإجابة غير صحيحة، كما أن التلميذ قادر على فهم ما يريده الأستاذ من هذه الإجابة المخالفة للحقيقة.

والأمثلة التي تمثل خرق هذه القاعدة في نماذج التوقيعات كالتالي:

م	التوقيع (ابن عبدربه، ١٤٠٤هـ، ٤/ ٢٨٧-٢٩٩)	المعنى المستلزم	المبدأ الذي خُرق والاستراتيجية المستخدمة
		قاعدة الكيف	
٦	ووقَّع معاوية بن أبي سفيان في كتاب من ربيعة بن عسل اليربوعي يسأله أن يعينه في بناء داره بالبصرة باثنتي عشر ألف جذع: أدارك في البصرة، أم البصرة في دارك؟	عدم الموافقة على هذا الإسراف.	قاعدة الكيف، والقاعدة الفرعية التي خرقها (لا تقل ما تعتقد أنه غير صحيح)؛ وذلك في قوله: أن البصرة تقع في داره، ولكنه انتهكه ليبين للوالي مبالغته في حجم الدار، وما يتبع ذلك من إسراف لا يوافق عليه. وقد استخدم استراتيجية التهكم من خلال الاستفهام.
٧	وقّع سليمان بن عبد الملك على كتاب قتيبة بن مسلم يتهدّده بالخلع: زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا ... أبشر بطول سلامة يا مربع.	لا يخوفني تهديدك.	قاعدة الكيف، إذ القاعدة الفرعية التي خرقها هي (ألّا يقول مالا دليل عليه). وقد جاء الاستشهاد ببيت جرير من باب التهكم، الذي يستلزم عدم المبالاة بهذا التهديد.
٨	وقَّع عمر بن عبد العزيز في رقعة امرأة حبس زوجها: الحقّ حبسه.	رفض طلب العفو.	قاعدة الكيف، إذ إنه خرق القاعدة الفرعية الأولى وهي (لا تقل ما تعتقد أنه غير صحيح)؛ عن طريق استخدام استراتيجية الاستعارة، إذ جعل الحق – وهو مفهوم معنوي – مقام القاضي أو الوالي. وقد استلزم ذلك معنى عدم العفو، لاستحالة استعطاف الحق.
٩	وقَّع هشام بن عبدالملك في كتاب صاحب المدينة وكتب يخبره بوثوب أبناء الأنصار: احفظ فيهم رسول الله صلّى الله عليه وسلم، وهبهم له.	لا تعتدِ عليهم.	قاعدة الكيف، والقاعدة الفرعية التي خرقها هي: (لا تقل ما تعتقد أنه غير صحيح)؛ إذ جعل ترك أبناء الأنصار والعفو عنهم بمثابة الهبة للنبي عليه الصلاة والسلام، مع تباعد الزمن بينهم. فالسياق والقرائن وهي موقف الأنصار المشهود مع النبي، وتسميته للقوم بـ(أبناء الأنصار) جعلت معنى العفو – وهو المعنى المستلزم – واضحا للمخاطب.

م	التوقيع (ابن عبدربه، ١٤٠٤هـ، ٤/ ٢٨٧-٢٩٩)	المعنى المستلزم	المبدأ الذي خُرق والاستراتيجية المستخدمة
١٠	وقع هشام بن عبدالملك في رقعة محبوس لزمه الحدّ: نزل بحدّك الكتاب.	رفض طلب العفو.	قاعدة الكيف؛ إذ خالف قاعدة (لا تقل ما تعتقد أنه غير صحيح)؛ فالذي حكم في قضية المستعطف هو القاضي الذي يأتمر بأمر الخليفة؛ لكنه ردّ الحكم على المحبوس إلى المصدر الأساس للشريعة وهو (القرآن الكريم)، مما يستلزم معنى رفض العفو بما لا يدع مجالا لتغير الحكم.
١١	وقّع هشام بن عبدالملك في كتاب عامله يخبره فيه بقلة الأمطار في بلده: مرهم بالاستغفار.	كَثُرت المعاصي عندكم.	قاعدة الكيف، والقاعدة التي خرقت (لا تقل ما ليس عندك دليل عليه). فالوالي كان يتوقع من الخليفة جوابا عمليا يحدد فيه ما يفعله إزاء هذه المشكلة، لكن الخليفة ردّ عليه بالتزام الاستغفار، وهو جواب لا علاقة له بقلة المطر، وقد قصد الخليفة بذلك تنبيه الوالي بانتشار المعاصي، والبعد عن الدين، فكان أن ربط بين قلة المطر وبعدهم عن الله في رده.
١٢	وقّع أبو جعفر المنصور على كتاب من أهل الكوفة شكوا عاملهم: كما تكونون يؤمّر عليكم.	لن أغيره، وهذا ما تستحقون	قاعدة الكيف، والقاعدة الفرعية التي خُرقت هي (لا تقل ما تعتقد أنه غير صحيح)؛ فالخليفة لا يملك دليلا على سوء خُلق الشاكين، ولكنه ردّ عليهم بحكمة مأثورة استخدم فيها استراتيجية (التعريض)؛ يحملهم فيها سبب المشكلة.
١٣	وقّع المهدي في قصة متظلمين شكوا بعض عماله: لو كان عيسى عاملكم قدناه إلى الحق كما يقاد الجمل المخشوش. يريد عيسى ولده.	سأنصفكم	قاعدة الكيف؛ والقاعدة الفرعية المخترقة هي (لا تقل ما ليس عندك دليل عليه)؛ ففي الحين الذي كان المظلمون ينتظرون جوابا من الخليفة على تظلمهم، جاءتهم الإجابة بأنه لو كان غريمهم ابنه لأنصفهم منه وهو أقرب الناس إليه، مما يستلزم أنّه سينصفهم بالتأكيد من هذا العامل. وهذا الرد من الخليفة المهدي لا يمكن أن يدلل عليه ولم يحدث قبلا.
١٤	وقّع أبو جعفر المنصور في قصة رجل شكا الدين: إن كان دينك في مرضاة الله قضاه.	رفض الطلب	قاعدة الكيف، والقاعدة الفرعية التي خُرقت هي (لا تقل ما ليس عندك دليل عليه)، فهو لا يعلم هل هذا الدين في مرضاة الله أم في معصيته، ولا يملك دليلا على ذلك، ولكنه استنتج ذلك، وهذه الحجة أقوى لرفض الطلب؛ إذ إن بقاءه مديونا هو بسبب عدم رضى الله عن هذا الدّين، وعدم رضى الله عن هذا الدّين لأنه في غير مرضاة الله. فإذا كان الله غير راض عن دَينك فأنا أولى بذلك. وهذا كله يستلزم عدم قبول طلبه.
١٥	وقع أبو جعفر المنصور على كتاب من صاحب مصر يذكر فيه نقصان النيل: طهّر عسكرك من الفساد يعطك النيل القياد.	كَثر الفساد عندك، فحارِبه	قاعدة الكيف، والقاعدة الفرعية التي خرقت هي (لا تقل ما ليس عندك دليل عليه)؛ فلا دليل عند الخليفة يؤكد ارتفاع منسوب النيل بعد محاربة الفساد، إلا أنّ هذا الربط بين المعنيين يستلزم انتشار التقصير والفساد في مصر. مستخدما في رده أسلوب الاستعارة.

م	التوقيع (ابن عبدربه، ١٤٠٤هـ، ٤/ ٢٨٧-٢٩٩)	المعنى المستلزم	المبدأ الذي خُرق والاستراتيجية المستخدمة
١٦	وقَّع المأمون في رقعة مولى طلب كسوة: لو أردت الكسوة للزمت الخدمة، ولكنك آثرت الرّقاد فحظّك الرؤيا.	رفض الطلب	قاعدة الكيف، والقاعدة الثانوية التي خُرِقت هي (لا تقل ما ليس عندك دليل عليه)؛ فالخليفة لا يستطيع التدليل على أن السائل كان كثير النوم، ولكنه استخدم هذا المعنى للدلالة على الكسل وعدم العمل، ولذلك يناسبك أن تحلم بالكسوة فأنا لن أعطيك شيئا لكسلك. والاستراتيجية المستخدمة هي (التهكم)؛ فلأنك آثرت الكسل والنوم فيكفيك أن تحلم بالكسوة لا أن تحصل عليها.

القاعدة الثالثة: قاعدة المناسبة أو العلاقة/ الصلة Relevance وهي: اجعل كلامك ذا علاقة مناسبة بالموضوع.

مثال: في حوار بين رجلين:

الأول: أين زيد؟

الثاني: ثمة سيارة صفراء تقف أمام منزل عمرو.

إن إجابة السؤال بمعناها الحرفي تخالف قاعدة مناسبة الموضوع، ولكن السائل سيسأل نفسه ما علاقة وقوف السيارة الصفراء عند منزل عمرو؟ ثم يربط الإجابة بسيارة زيد الصفراء؛ إذن زيد في منزل عمرو.

والأمثلة التي تمثل خرق هذه القاعدة في نماذج التوقيعات كالتالي:

م	التوقيع (ابن عبدربه، ١٤٠٤هـ، ٤/ ٢٨٧-٢٩٩)	المعنى المستلزم	المبدأ الذي خُرق والاستراتيجية المستخدمة
		قاعدة العلاقة أو المناسبة	
١٧	وقَّع علي بن أبي طالب في كتاب صعصعة بن صوحان يسأله في شيء: قيمة كلّ أمرئ ما يحسن.	اجتهد في تدبير أمورك.	قاعدة العلاقة؛ فالخليفة لم يجب واليه على ما سأل، وإنما كتب حكمة من خلالها ينبه الوالي أنه لا بد أن يجتهد في تدبير أموره وأن يكون بقدر المسؤولية، مستخدما استراتيجية (التلميح) في رده.
١٨	وقَّع معاوية بن أبي سفيان في كتاب عبد الله بن عامر يسأله أن يقطعه مالا بالطائف: عش رجبا تر عجبا.	رفض الطلب.	قاعدة العلاقة؛ إذ لم يرد على طلبه بالرفض، ولكنه استخدم مثلا مشهورا يدل على أن من يعش في الحياة يرى العجائب. والاستغراب من الطلب الذي يحمله معنى المثل دليل على ما هو أبعد من عدم الموافقة؛ وهو الرفض مع التعجب من الطلب. والاستراتيجية هي (التعريض) عن طريق استخدام المثل.
١٩	وقَّع معاوية بن أبي سفيان في كتاب من ربيعة بن عسل اليربوعي يسأله أن يعينه في بناء داره بالبصرة باثني عشر ألف جذع: أدارك في البصرة، أم البصرة في دارك؟.	عدم الموافقة على هذا الإسراف.	قاعدة العلاقة؛ فالخليفة لم يجب عليه بالموافقة أو الرفض وهو الرد المتوقع على السؤال، ولكنه رد عليه بسؤال آخر يسأله عن موقع داره. وهذا الأسلوب يسمى (الحيدة)؛ وهو لون من ألوان العدول في الأسلوب الجوابي بصفة خاصة؛ وهو اجتلاب

م	التوقيع (ابن عبدربه، ١٤٠٤هـ، ٤/ ٢٨٧-٢٩٩)	المعنى المستلزم	المبدأ الذي خُرق والاستراتيجية المستخدمة
			الجواب المرغوب من المتكلم للسؤال؛ إذ تكون الإجابة في السؤال والإجابة عنها إلزاما أو إحراجا (النجار، ٢٠١٣م، ص٦٧).
٢٠	وقّع عبدالملك بن مروان على كتاب من الحجّاج يخبره بسوء طاعة أهل العراق وما يقاسي منهم، ويستأذنه في قتل أشرافهم، فوقع له: إنّ من يمن السائس أن يأتلف به المختلفون، ومن شؤمه أن يختلف به المؤتلفون.	لا تقتلهم، ولكن أصلح نفسك.	قاعدة العلاقة؛ فقد كان الحجّاج ينتظر الإجابة وهي: إما الموافقة على قتلهم أو رفضه، ولكنه عوضا عن ذلك جاء بحكمة تلميحا له على إخفاقه في التعامل مع من يعارضه، وأن أولى له أن يُصلح حاله ويغير طريقته في التعامل معهم، وهذا الرد يستلزم عدم الموافقة على قتل المعارضين.
٢١	وقّع عمر بن عبد العزيز إلى عامله بالمدينة وكان قد سأله أن يعطيه موضعا يبنيه، فوقع: كن من الموت على حذر.	اتق الله، كما أنني لا أوافق على البناء.	قاعدة العلاقة؛ فالعامل يتوقع ردا من الخليفة له علاقة بالطلب، وهو إما الموافقة أو الرفض، ولكن الخليفة رد عليه بطلب وهو أن يخشى الموت، وهذا المعنى يستلزم المخافة مما بعد الموت وهو الحساب، وهذا تلميح بأن الأمر الذي طُلب من الخليفة يستلزم العقاب من الله لأن فيه معصية وتبذير، هذه السلسلة من الاستدلالات تستلزم في النهاية الوصول إلى الجواب؛ وهو رفض الطلب. والاستراتيجية المستخدمة هي (التلميح).
٢٢	وقّع عمر بن عبد العزيز في رقعة رجل قتل: كتاب الله بيني وبينك.	رفض طلب العفو.	قاعدة العلاقة؛ فالخليفة لم يصرح بالعقوبة التي ستناله، ولكنه ذكر بأنّ كتاب الله هو الفاصل في الحكم، وهذا الرد فيه إحالة إلى (القرآن الكريم) وهو الذي يعرف المتخاطبون بأن حكم القاتل فيه هو القتل. ورغبة من الخليفة في عدم المواجهة، تجنب التصريح بعقوبة القتل مستخدما استراتيجية إفادة الاقتضاء.
٢٣	وقع يزيد بن عبد الملك في كتاب من صاحب خراسان: لا يغرّنك حسن رأي، فإنما تفسده عثرة.	وصلني ما يسؤوني منك، فاحذر من غضبي.	قاعدة العلاقة؛ فالخليفة لم يهدد الوالي صراحة، ولكنه وضح له أن حلم الخليفة قد يفسده خطأ واحد، وهذا يستلزم أنّ الخليفة قد قرب صبره على النفاد، مما يستلزم حذر الوالي.
٢٤	وقّع أبو العباس السفاح في كتاب جماعة من بطانته يشكون احتباس أرزاقهم: من صبر في الشدة شارك في النعمة. ثم أمر بأرزاقهم.	قبول طلبهم.	قاعدة العلاقة؛ إذ ردّ على طلبهم بحكمة معروفة، فيها تلميح إلى استحقاقهم للعطاء. والاستراتيجية المستخدمة هي (التلميح) عن طريق الحكمة. وقد تضمنت مقولته فعلا تأثيريا؛ إذ أمر لهم بالعطاء.
٢٥	وقّع أبو جعفر المنصور في قصة رجل قُطعت عنه أرزاقه: (وما يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) المؤمنون ٩٦.	رفض الطلب.	قاعدة العلاقة؛ فالخليفة لم يرد على طلبه بالموافقة أو الرفض، ولكنه رد عليه بآية قرآنية مفادها أن الأرزاق بيد الله عز وجل وليست بيد الخليفة، فالله هو المعطي وليس الخليفة، وفي هذه الآية تلميحا له برفض الطلب.
٢٦	وقّع الرشيد إلى عامل خراسان: إن الملوك يؤثر عنهم الحزم.	وصلني ما يسوئني منك فاحذرني.	قاعدة العلاقة؛ فرسالة الخليفة لا يوجد فيها تصريح بتقصير من العامل أو غيره، ولكنه ردّ بحكمة فيها ما يتميز به الملوك – والخليفة منهم – من حزم وشدة في معاقبة المقصر، تلميحا منه بتقصير المخاطب. أما الاستراتيجية المستخدمة فهي (التلميح).

القاعدة الرابعة: قاعدة الطريقة Manner: وتضم القواعد الفرعية التالية:

أ. كن واضحا ومحددا.

ب. تجنب الغموض.

ج. تجنب اللبس.

د. أوجز.

هـ. رتب كلامك.

مثال: في حوار بين رجلين:

الأول: ماذا تريد؟

الثاني: قم، واتجه إلى الباب، وضع المفتاح في القفل، ثم أدره ناحية اليسار ثلاث مرات، ثم ادفع الباب برفق.

إن في إجابة السؤال انتهاك لمبدأ الطريقة؛ وهو أوجز؛ إذ يكفي أن يقال: افتح الباب، وقد يكون استعماله لهذا التطويل نتيجة لما يتميز به السائل من بطء وتكاسل، فالجملة إذا تستلزم افتح الباب بسرعة.

والأمثلة التي تمثل خرق هذه القاعدة في نماذج التوقيعات كالتالي:

م	التوقيع (ابن عبدربه، ١٤٠٤هـ، ٤/ ٢٨٧-٢٩٩)	المعنى المستلزم	المبدأ الذي خُرق والاستراتيجية المستخدمة
			قاعدة الطريقة
٢٧	وقّع عمر بن الخطاب في كتاب ردا على سعد بن أبي وقاص في بنيان يبنيه: ابن ما يكنّك من الهواجر وأذى المطر.	اقتصد في البناء، وليكن قدر الحاجة.	قاعدة الطريقة، وقد خالف قاعدتها الفرعية (كن موجزا، وكن واضحا ومحددا). فهو لم يصرح بالموافقة التامة أو الممانعة، ولكن التحديد الذي ذكره في الرد، فيه تلميح بعدم الموافقة، وأنّ ما عندك من بناء يحقق المطلوب. والاستراتيجية التي استخدمها (التلميح).
٢٨	وقع عثمان بن عفان في قصة قوم تظلموا من مروان بن الحكم وذكروا أنه أمر بوجء أعناقهم: (فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ) الشعراء ٢١٦.	اتركهم لحالهم، ولا تقتلهم.	مبدأ الطريقة، والقاعدة الفرعية التي خُرقت هي (كن واضحا ومحددا)؛ فالخليفة رضي الله عنه لم يكن مباشرا في أمره بتركهم وعدم قتلهم، ولكنه وقّع بالاستشهاد بآية كريمة، تحمل معنى الإعراض عن العصاة والتبرأ منهم. والرد فيه نوع من الغموض، إلا أن المخاطب يستنتج رأي الخليفة من معنى الآية التي استشهد بها. واستخدم الآية القرآنية ليدل على صرامة الموقف وقوته.
٢٩	وقّع علي بن أبي طالب في كتاب جاءه من الحسن بن علي رضي الله عنه: رأي الشيخ خير من مشهد الغلام.	نفذ رأيي.	قاعدة الطريقة، والقاعدة الفرعية التي خُرقت (كن واضحا ومحددا، وتجنب الغموض)؛ فبدل من أن يقول له نفذ رأيي لا رأيك، استخدم استراتيجية الحكمة المتفق عليها من الجميع؛ وهي أن رأي الشيخ ومثله علي بن ابي طالب أفضل من مشهد الغلام ومثله ابنه الحسن.
٣٠	وقّع عمر بن عبد العزيز على كتاب بعض العمال إليه يستأذنه في مرمّة مدينته، فوقع أسفل كتابه: ابنها بالعدل، ونقّ طرقها من الظلم.	عدم السماح بالترميم.	قاعدة الطريقة، والقاعدة التي خرقها هي (كن واضحا ومحددا، وتجنب الغموض)؛ إذ لم يقدم الإجابة المتوقعة على السؤال؛ وهي الموافقة أو الرفض. وهذا الإخلال لا يرجع إلى قصور في فهمه السؤال، أو

م	التوقيع (ابن عبدربه، ١٤٠٤هـ، ٤/ ٢٨٧-٢٩٩)	المعنى المستلزم	المبدأ الذي خُرق والاستراتيجية المستخدمة
			عدم قدرته على الإجابة، ولكنه تجنب التصريح هربا من الإحراج؛ فكانت إجابته بنصيحة استخدم فيها الاستعارة، التي تستلزم عدم الموافقة على الترميم.
٣١	وقّع عمر بن عبد العزيز إلى عامله على الكوفة – وكتب إليه أنه فعل في أمر كما فعل عمر بن الخطاب– : (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ) الأنعام ٩٠.	أحسنت في عملك.	قاعدة الطريقة، والقاعدة الفرعية التي خرقها (كن واضحا ومحددا، وتجنب الغموض)، فقد استشهد بآية كريمة فيها تلميح بجميل صنعه إذ سلك نهج عمر بن الخطاب رضي الله عنه واقتدى بفعله، وهذا يستلزم معنى الموافقة على فعله.
٣٢	وقّع أبو العباس السفاح إلى عامل تُظلِّم منه: (وَما كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً) الكهف ٥١.	لقد عزلتك.	قاعدة الطريقة؛ فالخليفة أرسل لعاملة بعد أن كثُر شاكوه آية قرآنية فيها براءة من المضلين الظالمين، وأنه لا يليق به أن يتخذهم أعوانا له، وإرسال الخليفة لوالي له رسالة تحمل هذا المعنى الحرفي فيها تلميح بأنك أنت المقصود في الآية الكريمة، مما يستلزم معنى عزله. والاستراتيجية التي استخدمها (التلميح).
٣٣	وقّع أبو جعفر المنصور على كتاب من رجل شكا عيلة: سل الله من رزقه.	لن اعطيك شيئا.	قاعدة الطريقة؛ والقاعدة التي خرقها (كن واضحا ومحددا) فالخليفة لم يصرح بالموافقة على العطاء أو عدمه، ولكنه وجّهه لطلب الرزق من الله، إشارة إلى أنه لن يعطيه شيئا.
٣٤	وقّع أبو جعفر المنصور في قصة رجل سأله أن يبني بقربه مسجدا لأن مصلاه على بعد: ذلك أعظم لثوابك.	رفض الطلب.	قاعدة الطريقة، والقاعدة الفرعية التي خرقها هي (كن واضحا ومحددا، وتجنب الغموض)؛ فالخليفة لم يصرح برفض طلبه أو قبوله، ولكنه ذكّره بعظم ثواب المشي للمسجد تلميحا منه بعدم قبول طلبه. والاستراتيجية المستخدمة في هذا التوقيع هي (التلميح).
٣٥	وقّع أبو جعفر المنصور في كتاب من أحد سأله أن يحج: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) آل عمران٩٧.	رفض الطلب.	قاعدة الطريقة، والقاعدة الفرعية التي خرقها هي (كن واضحا ومحددا)؛ فالخليفة لم يصرح بالرفض أو الموافقة، ولكنه استدل بآية كريمة تدل على أن الحج واجب عند الاستطاعة فقط، تلميحا من الخليفة بعدم قبول الطلب لأنّ السائل لا يستطيع، فهو إذن ممن تشملهم الآية الكريمة بالتخفيف، والاستدلال بالآية الكريمة أقوى في الأثر والإقناع للسائل من الرفض حتى وإن جاء مع الرفض تعليل؛ لما تحويه الآية الكريمة من سلطة غير قابلة للنقاش. أما الاستراتيجية المستخدمة فهي (التلميح).
٣٦	وقّع المهدي في قصة رجل حبس في دم: (وَلَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ يا أُولِي الْأَلْبابِ) البقرة ١٧٩.	رفض طلب العفو عنه.	قاعدة الطريقة، والقاعدة الفرعية التي خرقها هي (كن واضحا ومحددا، وتجنب الغموض)؛ إذ كان يُنتظر أن يُعلّق المهدي على التظلم بالعفو عن المتظلم أو عدمه صراحة، ولكنه عوضا عن ذلك ذكر الآية الكريمة التي تشدد على حكم القصاص في الدم، مما يستلزم معنى رفض العفو عنه. وقد ذكر الآية الكريمة حتى يقطع على المتظلم أي فرصة أخرى للتظلم، كما أنه يدعم قرار الخليفة ويقويه، ليجعل هذا الحكم هو حكم الله لا الخليفة.
٣٧	وقّع المهدي إلى صاحب خراسان في أمر جاءه: أنا ساهر وأنت نائم.	قصّرت في عملك.	قاعدة الطريقة، والقاعدة الفرعية التي خُرقت (كن واضحا، وتجنب الغموض)؛ ونسبة النوم إلى عامل الخليفة تستلزم التقصير وعدم قيامه بأعماله ومسؤولياته، كما أنّ نسبة السهر إلى الخليفة تستلزم العمل الدؤوب.

م	التوقيع (ابن عبدربه، ١٤٠٤هـ، ٤/ ٢٨٧-٢٩٩)	المعنى المستلزم	المبدأ الذي خُرق والاستراتيجية المستخدمة
٣٨	وقّع أبو جعفر المنصور على رسالة من صاحب خراسان: شكوت فأشكيناك، وعتبت فأعتبناك، ثم خرجت عن العامّة فتأهب لفراق السلامة.	لقد عزلتك.	قاعدة الطريقة، والقواعد الفرعية التي خُرقت (كن واضحا، وتجنب الغموض، وأوجز)، والمعنى المستلزم من قوله (تأهب لفراق السلامة): أني عزلتك. وبما أنّ الجملة حملت نوعا من الغموض في أمر-وهو العزل- يحتاج إلى وضوح، جاءت المقدمات تمهد للمعنى الضمني وهو (العزل)؛ وهي: استنفاذ كل محاولات إصلاح الوالي دون فائدة، بالإضافة إلى إساءة الوالي للناس.
٣٩	وقّع هارون الرشيد إلى صاحب السّند إذ ظهرت العصبية: كل من دعا إلى الجاهلية تعجّل إلى المنية.	اقتل مثيري الفتنة.	قاعدة الطريقة، والقاعدة الفرعية التي خُرقت هي (كن واضحا)؛ والخليفة في رده لم يصرح بعقوبة القتل، ولكنه لمح أن من دعا للجاهلية فقد اقترب من الموت، وهذا معنى يستلزم أمر الخليفة بقتلهم، ولكن لاعتبارات إخلاء المسؤولية لم يصرح الخليفة بذلك، وترك الأمر لفهم الوالي. والاستراتيجية المستعملة هي (التلميح).
٤٠	وقّع المأمون في قصة متظلم من أبي عيسى أخيه: (فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَساءَلُونَ) المؤمنون ١٠١.	سأنصفك منه.	قاعدة الطريقة؛ فالمخاطب كان ينتظر من المأمون ردا واضحا إما بقبول المظلمة أو رفضها، ولكنه استشهد بآية قرآنية فيها معنى عدم نفع الأنساب يوم القيامة، مما يستلزم معنى أن الخليفة سينصفه على قريبه. والرد بالآية القرآنية فيه سلطة قوية تأكد المعنى المستلزم.
٤١	وقّع المأمون في قصة متظلم من محمد بن الفضل الطوسي: قد احتملنا بذاءك وشكاسة خلقك، فأما ظلمك للرعية فإنا لا نحتمله.	قد عزلتك.	قاعدة الطريقة، والقاعدة الفرعية التي خُرقت هي (كن واضحا ومحددا، وتجنب الغموض)؛ فالخليفة لم يصرّح بعزل واليه، ولكنه لمح بذلك عندما ذكر بأنه لا يحتمل ظلمه للرعية، وهذا المعنى الحرفي يستلزم عزل المأمون للوالي. مستخدما في ذلك استراتيجية (التلميح).

الخاتمة والنتائج:

من خلال الدراسة السابقة خرج البحث بنتائج أهمها، ما يلي:

١- إنّ توقيعات الخلفاء تعتمد كثيرا على الاستلزام الحواري، وذلك رغبة في التلطيف أو عدم التصادم بين الخليفة والمخاطب سواء أكان واليا عنده أم من الرعية المتظلمين؛ لذلك يأتي المعنى المقصود غير مباشر عن طريق الاستلزام لما فيه من حدة في بعض الأحيان؛ كالعزل كما في الأمثلة (٣٢، ٣٨، ٤١)، أو شكوى من الرعية كما في الأمثلة (٨، ١٠، ٢٢، ٤٠).

٢- فاعلية الاستلزام الحواري في توقيعات الخلفاء في موضوع (التهديد) وخاصة خرق مبدأ (العلاقة)؛ إذ إن استخدام معنى حرفي غير مقصود للدلالة على معنى آخر غير مصرح به يحمل الوعيد والتهديد، يجعل المخاطب يظن في هذا التهديد أكثر مما يتوقع؛ لأن الخليفة لم يصرح مباشرة بالعقوبة أو الوعيد، ولكنه تركها لتأويل المخاطب، كما في المثالين (٢٣، ٢٦).

٣- فاعلية توقيعات الخلفاء في إخلاء مسؤولية الخلفاء من بعض الأعمال التي قد تسيء لهيبتهم كالأمر بالقتل؛ لذلك يلجأ الخليفة إلى الاستلزام ويترك تفسير كلامه وتأويله لواليه، فإن أحسن الوالي فهو بأمر الخليفة، وإن أخفق فقد أساء فهم أوامر خليفته، كما في المثال (٣٩).

٤- فاعلية استخدم سلطة الآيات القرآنية في الاستلزام الحواري، وقد لاحظنا ذلك في ردود الخليفة على بعض تظلمات الرعية؛ إذ يورد الخليفة الآية القرآنية ردا على تظلمهم، مما لا يدع مجالا لتدخل الخليفة في حكم الدين، ويقوي حكمه وموقفه، كما في الأمثلة (٢٥، ٣٥، ٣٦).

٥- خرج البحث بفاعلية خرق بعض القواعد دون غيرها لمواضيع محددة؛ ومنها: فاعلية خرق قاعدة (العلاقة) في موضوع (التهديد)، فاعلية خرق قاعدة (الطريقة) في موضوع (العزل)، فاعلية خرق قاعدة (الكم) في موضوع النصح.

٦- من خلال العينة محل الدراسة كان من أبرز مبادئ التعاون التي خُرقت في التوقيعات؛ أولا: قاعدة (الطريقة) ستة عشر مرة، ثم قاعدة (الكيف) إحدى عشرة مرة، ثم قاعدة (العلاقة) تسع مرات، وأخيرا قاعدة (الكم) خمس مرات.

٧- وردت للخليفة نفسه ردود مختلفة (معاني حرفية) على طلب واحد كالعفو والصفح من المتظلمين، إلا أنها تحمل معنى مستلزما واحد؛ وهو الرفض، بالرغم من اختلاف المعاني الحرفية، كما في الأمثلة (٨، ١٠، ٢٢، ٤٠).

٨- تتشابه كثير من التوقيعات في المعنى المستلزم إلا أنها تختلف في المعنى الحرفي، كما تختلف أيضا في قواعد التعاون التي خُرقت، والجدول التالي، يوضح ذلك:

الأمثلة	المعنى الحرفي	المعنى المستلزم	قواعد التعاون التي خُرقت
٦، ٢١، ٢٧	مختلف	متفق وهو عدم الموافقة على البناء.	القواعد مختلفة في كل الأمثلة.
١، ٤	مختلفة	متفق	القواعد التي خُرقت متفقة
٨، ١٠، ٢٢، ٤٠	مختلفة	متفقة	مختلفة، اتفق المثالان (٨، ١٠).
٢٣، ٢٦	مختلفة	متفقة	متفقة
١١، ١٥	مختلفة	متفقة	متفقة
٣٢، ٣٨، ٤١	مختلفة	متفقة	متفقة

المراجع:

أدراوي، العياشي (٢٠١١م)، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ط١، منشورات الاختلاف، الجزائر.

أزابيط، بنعيسى عسو (٢٠١٢م)، الخطاب اللساني العربي: هندسة التواصل الإضماري من التجريد إلى التوليد، ط١، عالم الكتب الحديث، الأردن.

اسماعيل، سليمان مختار محمد (٢٠١٦م)، أدب التوقيعات، مجلة شمال جنوب، جامعة مصراته، العدد ٨، ديسمبر، الصفحات ٢٩-٤٦.

ابن أبي الإصبع، عبد العظيم البغدادي، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (لجنة إحياء التراث الإسلامي).

أنيس، إبراهيم وآخرون (٢٠٠٤م)، المعجم الوسيط، ط٤، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية.

بوقرة، نعمان (٢٠٠٩م)، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية، ط١، عالم الكتب الحديث، الأردن.

ج. يول، ج. ب براون (١٩٩٧م)، تحليل الخطاب، ترجمة وتعليق: محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض.

جربوعة، إيمان (٢٠١٦م)، أطروحة غرايس في اللسانيات التداولية، توصيف ودراسة في ماهية الاستلزام التخاطبي، مجلة آداب ذي قار، العدد ٢٠، القسم ٤، الصفحات ١-٢٥.

حياة، زين العابدين، (٢٠١٩م)، الاستلزام الحواري: الإطار النظري وعلاقته بضوابط الحوار، من كتاب دراسات معاصرة في اللسانيات والتداوليات، عالم الكتب، الأردن، ط١، الصفحات (٢٧٥-٢٩٧).

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (١٩٨٨ م)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، ط٢، دار الفكر، بيروت.

الخليفة، هشام عبدالله (٢٠١٣م)، نظرية التلويح الحواري بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان.

الرقبي، رضوان (٢٠١٨م)، من البلاغة إلى التداولية دراسة تحليلية في البنية والتصور، ط١، عالم الكتب الحديث، الأردن.

ريكاناتي، فرانسوا (٢٠١٨م)، المعنى الحرفي، ترجمة: أحمد كروم، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان.

الشهري، عبد الهادي (٢٠١٥م)، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ط٢، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن.

صويلح، فوزي علي (٢٠١٨م)، القوة التداولية في المثل العربي، ط١، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن.
عبد الرحمن، طه (١٩٩٨م)، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
ابن عبد ربه الأندلسي، شهاب الدين أحمد (١٤٠٤هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.
عمر، عثمان سعد علي (٢٠١٧م)، فن التوقيعات الأدبية العباسية: دراسة وصفية بلاغية تطبيقية، المجلة الليبية، جامعة بنغازي، العدد ٢٦، أغسطس، الصفحات ١-١٨.
فاخوري، عادل (١٩٨٩م)، الاقتضاء في التداول اللساني، عالم الفكر، المجلد ٢٠، العدد٣، (أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر)، الصفحات ١٤١-١١٦.
الفراهيدي، الخليل بن أحمد، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
كادة، ليلى، المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية: ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجا، رسالة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر.
معروف، ناجي (١٩٦٣م)، التوقيعات التدريبية، مجلة الآداب، جامعة بغداد، كلية الآداب، العدد ٦، نيسان، الصفحات ٥-٥٢.
موشلار، جاك، وآن روبول (٢٠٠٣م)، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة: د.سيف الدين دغفوس وآخرون، ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
النجار، نادية رمضان (٢٠١٣م)، الاتجاة التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، ط١، مؤسسة حورس الدولية، الاسكندرية.
نحلة، محمود أحمد (٢٠١٤م)، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.
وهبة، مجدي، وكامل المهندس (١٩٨٤م)، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط٢، مكتبة لبنان، بيروت.
بن يامنة، سامية (٢٠١٩م)، تداولية سياق الحال في الفعل الكلامي: دراسة تحليلية تطبيقية، ط١، دار كنوز المعرفة، الأردن.
- C.S Morris, Foundations of the theory of signs, Chicago, 1972, p59.
- J. Verschueren, Understanding Pragmatics, London 1999, p1.
- The Oxford Companion to Philosophy, 1995, p709.